الكتاب الاول

سلطنة تهار

« إنه ضابط بارع . . . إنه زعيم ! »

ليمان فون سانديرس

سنة ١٩١٥

obeikandl.com

obeikandl.com

طفل متمرد

سلانيك فى سنة ١٨٨٠

على رضا افندى رجل رقيق الحال يقوم بعمل كتابى صغير فى الجمرك

وزوجته « زبيدة » تمثل المرأة التركية إذ ذاك أصدق تمثيل ، فهى لا تعرف من العالم الا منزلها وطفلها الصغير « مصطفى » ، ولا تعرف من شئون السياسة والحكم الا أن الخليفة هو ظل الله فى الأرض ، وان له قوة سبعة من الأولياء !

وتمر السنون ، ويشب مصطفى عن الطوق ، فيلحقه أبوه بمدرسة صغيرة ملحقة بمسجد سلانيك ليتعلم مبادىء القراءة والكتابة ، ثم يلحقه بمدرسة أخرى كان يديرها أحد الشيوخ ليحفظ القرآن ويتخرج فيها مقرئا من مشاهير المقرئين !

وبعد بضع سنوات يترك على رضا أفندى وظيفته فى الجمرك ويشتغل بالتجارة ، فتسوء حالته ويوشك على الافلاس ، ولا يحتمل جسده المضنى تلك الصدمة القاسية فيموت قبل أوانه ، وتنتقل أرملته بعده الى قرية بجوار سلانيك

وهناك فوق نجاد القرية ووهادها يقضى مصطفى جانباً من طفولته فى اللعب واللهو ورعى الغنم ، ويكاد يصبح همجا بين الشبان ، لولا أن ترأف خالته بحاله فتأخذ على عاتقها أمر تعليمه وترسله الى مدرسة فى سلانيك

ويسأم مصطفى دروسه ويحن الى رعى الغنم فى القرية ، فيفر من عصا الشيخ التى لا ترحم ، ويعود الى أمه وخالته وقد صمم على نبذ المدرسة ، إلا أن تكون مدرسة حربية !

وبعد لأى تنقاد أمه لعناده ، ويوفده أحد ذوى قرباه الى المدرسة الحربية بسلانيك

ولا يكاد مصطفى يلبس الملابس العسكرية حتى يتقمصه روح جديد : روح الجندى الذى يهوى الصدام ويجد مثله الأعلى فى خوض غمار الحروب والموت تحت ظلال السيوف . ويحبه أساتذته لذكائه وتفوقه على أقرانه فى الفنون العسكرية والعلوم الرياضية ، ويذيعون عنه تفوقه هذا فيشار اليه بالبنان كلما مر فى طرقات سلانيك ، حتى لقد روى المؤرخ « شليكلين » * عن صديقه توفيق بك انه قال : « كنت أسير مع أبى فى طرقات المدينة ، فاذا رأينا مصطفى كمال أشار اليه أبى وقال لى : أترى هذا

* M. J. Schliklin في كتابه : "Angora : L'Aube de la Turquie Nouvelle"

الفتى ؟ سيكون له شأن أى شأن فى بلادنا العثمانية » . . .

وفى السابعة عشرة من عمره يتم مصطفى كمال دراسته فى مدرسة سلانيك ، فيلحق بمدرسة أرقى منها فى موناستير ، وهناك يتجلى نبوغه فى أروع مظاهره ، فاذا أقبلت العطلة الصيفية يعود الى سلانيك حيث يعكف على دراسة الآداب الفرنسية ، ويقرأ لفولتير وجان جاك روسو وفيكتور هوجو وغيرهم من أئمة الكتاب ، ويحرر المقالات الحماسية وينظم القصائد النارية فى الحرية والعدالة والمساواة ووجوب التحرر من نير الأجانب وعسف الخليفة عبد الحميد

ثم توفده ادارة المدرسة الى استامبول ليلتحق بمدرستها الحربية العليا ، وتذكره فى تقريرها عنه بالخير وتمتدح صلابة عوده وعبقريته . فيذهب الى استامبول حيث يتم دراسته العليا فى سنة ١٩٠٥ . ثم يلتحق بمدرسة أركان الحرب ليتخرج فيها ضابطاً كبيرا

ليسقط عبد الحميد !

ثلاثة أعوام بقيت للطاغية عبد الحميد . .

الضباط الملحقون بمدرسة اركان الحرب ساخطون متذمرون ، والثورة يوشك أن يندلع لهيبها . .

ضباط مدرسة اركان الحرب يجتمعون ذات يوم ويقررون تأليف جمعية ثورية تدعى « جمعية الوطن » . ويكون مصطفى كمال على رأس هؤلاء الثائرين

وتعمل الجمعية في الخفاء بضعة اسابيع حتى يكتشف الجواسيس أمرها ويرفعوا به تقريراً مسهباً إلى عبد الحميد . فتثور ثائرته ويقول : « حتى الضباط الذين غمرتهم بفضلى واحساني . . . » ثم يصدر أمره بتشتيت أعضاء الجمعية ، فيذهب اسماعيل حقي باشا مدير الادارة العسكرية إلى المدرسة ويحاول عبثا أن يتهم أحداً دون غيره بالتآمر على نظام الدولة ، فهم جميعاً أعضاء في الجمعية الثورية دون أن يثبت عليهم شيء . وأخيراً يصدر أمره إلى مدير المدرسة بالعمل على القضاء على تلك الجمعية الخطرة . .

ولكن هل يقف الامر عند هذا الحد ؟

كلا ! فان الاعضاء يعقدون اجتماعاتهم في الخارج ، ومصطفى كمال يدير تلك الاجتماعات بدقة تبرهن على تضلعه في الحركات الثورية والعمل من خلف الستار . أما في أوقات الفراغ فهو يحرر صحيفة الجمعية بقلم من نار . .

وأخيراً يضيق عبد الحميد ذرعاً بضباطه المتمردين ، فيصدر أمره بالقبض عليهم في حالة التلبس بالجريمة ، وسرعان ما يدهم الجنود مقر الجمعية ويحملون أعضاءها ـ وفي مقدمتهم مصطفى كمال ـ إلى السجن حيث يظلون بضعة أسابيع

ثم يأمر السلطان بالافراج عنهم وتشريدهم في مختلف انحاء الامبراطورية العثمانية ، فتكون دمشق من نصيب مصطفى كمال

وهناك يؤسس مصطفى كمال فرعا لجمعية الوطن فينضم اليه عدد كبير من ضباط سوريا ، ويعمل الجميع سراً على خلع الطاغية عبد الحميد

ولما تهتز الاسلاك البرقية باشتداد ساعد الثورة التى كان يدبرها رجال الاتحاد والترق في سلانيك ، وبقرب زوال شبح الخليفة المستبد ، يصمم مصطفى كمال على اللحاق باخوانه في الجهاد ، فيخرق القوانين العسكرية ، ويغادر دمشق خفية وقد تزيا بزى أحد التجار ، ويعود إلى سلانيك عن طريق مصر فاليونان

ولكن أنى له التخفى وجواسيس الخليفة في كل مكان ! وهل تغفل عنه عيون السلطان وهو أخطر متآمر في جمعية الوطن ؟ هيهات . . فان الجواسيس يكتشفون فراره من دمشق فيرفعون تقاريرهم بذلك إلى الباب العالى ، فيصدر الأمر من الخليفة بالقبض على هذا الضابط المتمرد « الذى خرق النظم العسكرية بطيشه وغروره ... » ولولا أن صديقاً له ينذره بالخطر قبل وقوعه لكان يظل في غيابة السجن حتى ينجاب عهد الظلم ويخلع عبد الحميد . فيبادر بالسفر إلى اثينا ، ثم يعبر البحر إلى يافا حيث يهربه حاكمها من السفينة كما تهرب الممنوعات ، ثم يبرق الى الباب العالى زاعماً أن مصطفى كمال لم يغادر دمشق ، وأنه يؤدى واجبه كأحسن ما يفعل الجندى الساهر على تنفيذ إرادة ظل الله في الارض . . .

ويقيم مصطفى كمال في دمشق زهاء عام يقضيه في تأديب الدروز وتدخين النارجيله في قهوة صغيرة من قهوات دمشق . وان الذى يراه ليلمس فيه تلك الثورة النفسية التى كانت تجيش في قلوب الملايين من رعايا عبد الحميد

ولما تحسن التقارير التى يرسلها الجواسيس عنه إلى المابين ، يقتنع الخليفة بان

الضابط المتمرد عاد الى رشده واقلع عن أفكاره الجهنمية . ويسعى اصدقاؤه بدورهم في نقله ما وسعهم ذلك ، فيصدر الامر أخيرا بنقله إلىسلانيك . . إلى قلب الثورة .. برتبة (صاغ قول اغاسى)

لتحيى الحرية !

هذا النقل أمنية مصطفى كمال الكبرى التى طالما سعى فى تحقيقها ، فهو محقق لآماله ، باعث أحلامه من عالم الخيال الى عالم الحقيقة . فيسافر الى سلانيك حيث يقيم فى منزل كبير ورثته والدته عن زوجها الثانى

سلانيك زاخرة بالضباط والجنود الثائرين . بيد أن هذه الثورة لا تزال مودعة فى قالب من الرصانة التركية خشية جواسيس المابين . وقد اتخذ أعضاء جمعية الاتحاد والترقى هذه المدينة مركزاً لثورتهم ، فالسائر فى أزقتها وطرقاتها يرى نفراً من أبرع المتآمرين وأخصبهم قريحة وأوفرهم حيلة

ولما كانت الجمعية قائمة على نظم مثيلاتها من الجمعيات السرية ، فهى تقصر أسرارها على أقدم الأعضاء ممن برعوا فى التآمر . أما مصطفى كمال وغيره من الضباط فلا يصلون الى (قدس أقداسها) بل يظلون فى فنائها الخارجى

فهل يقنع مصطفى كمال من الجمعية بنصيب (النفر) المجاهد ؟

كلا . . لقد جبل على أن يكون رئيساً ، فاذا قدر له أن يكون مرءوسا فليرأسه من يفوقونه ذكاء وحمية . . أما أنور ، وطلعت ، وجمال ، ونيازى وغيرهم فليسوا أهلا للرئاسة فى نظره . . .

وها هو ذا يجلس فى قهوة (يونيون بار) بسلانيك فيسمع نقاشاً بين الضباط موضوعه الزعامة ، ثم يرشحون لهذه الزعامة جمالا الذى لا يعترف هو بتفوقه بل يرى فيه رجلا أجوف يحاول أن يصبغ تصرفاته بصبغة العظمة الكاذبة فلا يفلح ، فيقول : « انهم لا يرون الرجل العظيم . . وإن رجلا يرى أن فلاح بلاده متوقف على جهوده ، ثم يبحث عن القدوة ليتشبه بها مؤمناً بأن نجاة البلاد لا تتم الا بهذا التقليد ، هيهات أن يكون رجلا فى نظرى . . . »

على أن عدم تقديره للقائمين بأمر الثورة لا يحول دون العمل على اذكاء نارها ..

فالثورة فى صالح بلاده . والحرية لا تنال إلا بالدماء . لذلك نراه يواظب على حضور الجلسات العامة ، كما يعقد جلسات خاصة فى منزل والدته التى تحبه وتخشاه : تحبه لأنه وحيدها ، وتخشاه لأنه ضابط لا يصيخ الى نصائح أمه الذهبية . . .

— مابالك يا بنى تتعرض للخليفة بسوء .. ألا تعرف أن له قوة سبعة من الأولياء ؟

فيجيبها مصطفى كمال :

— ان الرجل الذى تعتقدين فيه قوة سبعة من الأولياء لا يملك من القوة شيئاً . ونحن نجتمع هنا لننقذ الوطن من ظلم الظالمين ، وأنت يا أماه لا يصل إدراكك الى مثل هذه الامور . فهل يا ترى تنسين ابنك عندما تحاولين الاتصال بالأولياء السبعة ؟

موقف غريب ! . . .

فهذه الأم أصاخت السمع فى ليلة ليلاء ، فسمعت ابنها وإخوانه من الضباط يتهامسون ويتآمرون على خليفة المسلمين . . . وهى ـ لفرط حبها لابنها ـ تنصحه بالعدول عن هذا التآمر . . وهو ـ لفرط يقظته وتوجسه ـ يخشى أن تفضح أمه أسرار الجمعية لفرط سذاجتها وإيمانها بقوة السبعة الأولياء . . .

وأخيراً تنتهد أمه وتقول :

— انكم يا ولدى لا تلتمسون الحيطة لأنفسكم . . .

ثم تمر الأشهر سراعا . . . وتتعاون القوى الوطنية على القضاء على عهد الاستبداد

وفى ٢٤ ابريل سنة ١٩٠٨ يخلع عبد الحميد ويجلس بعده على عرش الخلافة السلطان محمد الخامس

خيبة الامل . . .

قضى على الطاغية . وأعلن الدستور . وهتف العثمانيون : « لتحي الحرية ! » واستولى الثائرون على مقاليد الحكم

ووقف الذين حملوهم على الاعناق ينتظرون . . فطال انتظارهم . . ولم يروا إلا سلسلة من النكبات بدأت بثورة الالبانيين ، واضطرار الخليفة الى التوقيع على الاتفاق النمسوى التركي . وبه اعترف بضم البوسنة والهرسك إلى تركيا في مقابل سنجق نوفي بازار وتعويض مالى لا يكاد يذكر ، واعلان فرديننـد ملك بلغاريا

استقلاله التام ، ومطالبة جزيرة كريد بالانضمام الى اليونان ..

حكومة الاتحاد والترقي تفاجئها الحادثات فترتبك . والساخطون عليها لا يرحمون. يقولون : « ألهذا خلعنا عبد الحميد ؟ » فيقول أنصارها : « أليس عبد الحميد مسئولا عن تلك التركة المثقلة التي ورثناها عنه ؟ »

أما مصطفى كمال في مقدمة الساخطين الناعين مجد آل عثمان . ونقده يهوى على الحكومة كالمطارق . . والحكومة مضطرة ـ ازاء ذلك ـ إلى نقله الى مقدونيا حيث الحقته بالفرقة الثالثة

وهناك ينسى مصطفى كمال كل شيء إلا الواجب ، فنراه عاكفا على جنوده يدربهم ويبث فيهم روح النبالة والتضحية ، وعلى كتبه الحربية يستخلص منها أحدث فنون الحرب

وفي سنة ١٩١٠ توفده الحكومة إلى فرنسا في بعثة عسكرية برئاسة على رضا باشا لتمثيل تركيا في المناورات الحربية السنوية في (بيكاردى) ، فيرى الجيوش الاوربية الحديثة لاول مرة ، ويقف ـ مع زملائه الملحقين العسكريين بالسفارات الاجنبية ـ ليعرض الفرق . ويتناقش الملحقون في خطط الغداة : فيجمعون أمرهم على أن العدو سيكون غدا في المكان الفلاني . . فيعارضهم مصطفى كمال ويعين للعدو مكانا آخر . . وكم تكون دهشة الجميع عندما تصدق فراسته هو ويخيبون !

وينتهز فرصة وجوده بالقرب من باريس فيزور مدينة النور زيارة قصيرة ينهل فيها من مسرات العاصمة ويعب عباً

ثم يعود إلى تركيا فيجد قراراً من وزارة الحربية بتعيينه مديراً للمدرسة الحربية في سلانيك ، فيأخذ على عاتقه أمر تنظيمها ، وتتجلى قدرته التعليمية في أروع مظاهرها ، ويعاوده سخطه على حكومة الاتحاد والترقي فيبث في طلبته روح الثورة عليهم : فهم يسوقون الوطن الى الدمار ، ويبيعون التراث الذى اغتصبوه من عبد الحميد بيعاً بخساً ، ويخونون الهام للنفوذ الالماني ليتغلغل في صميم القومية التركية : في الجيش ، وفي السياسة . . .

ويشعر الصدر الاعظم محمود شوكت باشا بخطر هذا الثائر المتمرد ، فيبعده من المدرسة الحربية ويعينه قائدا للاورطة الثامنة والعشرين المشاة في سلانيك . . وهنا يترك مصطفى كمال الطلبة ويبث روح التمرد في الجنود . . فتثور ثائرة وزارة الحربية ،

ويطالب وزير الحربية بفصل مصطفى كمال ومحاكمته أمام المحكمة العسكرية . . ولكن أنى له ذلك وليس ثمة دليل واحد على ادانته !

لا . . الافضل نقله إلى وزارة الحربية في استامبول: ففيها يجد القائد الثائر نفسه أمام آلاف مؤلفة من الاتحاديين انصار الحكومة ، وفي هذا المحيط يعجز عن نشر مبادئه الثورية

وفي وزارة الحربية يرى مصطفى كمال عجباً : فالاتحاديون يستخدمون الخبراء الالمان بكثرة مخيفة . والالمان مهيمنون على وزارة الحرب . وفي كل يوم تستقدم طائفة منهم . .

مصطفى كمال لا يقبل هذا بحال .. فهو يرى أن تركيا للاتراك ، وان كان لا بد من استقدام الخبراء الالمان ، فليكن استخدامهم في المصالح الحكومية الاخرى لافي وزارة الحرب ، ورئاسة اركان الحرب !

ها نحن أولاء نراه كالبركان الثائر . ولكن من ذا الذى يعبأ بأقواله وكل شيء في يد الاتحاديين ؟

انه يجد طائفة من الضباط الساخطين على الالمان مثله . ولكن لعنة الله عليهم فهم يكتفون بالنقد همساً فاذا وجب اعلان الرأى ، مجدوا أولى الامر ورفعوا من شأنهم . . .

البدار البدار الى طرابلس !

٢٦ سبتمبر سنة ١٩١١

أعلنت ايطاليا الحرب على تركيا . .

الخليفة ورجال حكومته يعجبون ، ويتساءلون : لماذا تعلن ايطاليا الحرب علينا ؟ ألم يصرح وزير خارجيتها فى ٩ يونيو الماضى بأن حكومته تعمل على سلامة الأملاك العثمانية فى افريقيا ؟ ألم يزر ولى عهد الخلافة مدينة روما فترحب به الحكومة الايطالية أجمل ترحيب ؟ ألم تقف ايطاليا موقف المحايد ابان الثورة الألبانية ؟ ما السبب إذاً ؟ !

لو أننا كنا نعيش فى ذاك الوقت لقلنا بلسان عصرنا الحاضر : ليس هناك سبب إلا الطمع الأشعبي . ففرنسا احتلت تونس والجزائر ، وايطاليا تريد أن تحتل طرابلس . . وما دامت الامبراطورية العثمانية مفككة الأوصال فويل للضعيف !

الاسلام يستنفر المجاهدين للحرب . .

أنور يسبق المجاهدين الى طرابلس

فتحى بك الملحق العسكرى فى باريس يعبر البحر الأبيض على مركب للصيد

ومصطفى كمال يخترق الأناضول ، فسوريا ، فمصر ـ وهنا تحاول انجلترا منعه ومنع جميع المجاهدين من اللحاق باخوانهم فى طرابلس ، ولكن الخديو السابق يفسد عليها خطتها ويهرب مصطفى كمال وزملاءه الى الحدود الغربية على خيول مطهمة ، وهناك تصدر الأوامر السرية الى ضباط الحدود بالسماح لهم بالمرور

وفى صباح ذات يوم يدخل مصطفى كمال خيمة القيادة العليا فى عين المنصور ، فيقوم له أنور ويصافحه بحرارة ، ويقول ان العداوة الشخصية شىء والجهاد شىء آخر ، وأنه ـ رغم كل شىء ـ معجب به وبكفاءته الممتازة ، ولذلك سيعينه قائداً للفرقة الواجهة للسرنة

الله على تلك الأيام الغراء وعلى مثلها العليا فى الجهاد والتضحية !

جيش من العرب مفتقر الى المؤونة والسلاح ، وعلى رأسه نفر من الضباط الأتراك يساعدهم السنوسى الكبير الذى دوخ الفرنسيين وها هو ذا يدوخ الايطاليين ، هذا الجيش يقاوم ايطاليا ذات الأسطول والعدد العديد والسلاح الذى لا ينفد والأمداد التى كانت تصل من ايطاليا بدون انقطاع . . عاماً كاملا دون أن يتيح لها شبراً واحداً من الأرض !

والأسطول الايطالى رابض على الساحل والعساكر الايطالية معسكرة فى الخنادق تحت ظلال الأسطول . ومع ذلك فالعرب والأتراك يكرون عليهم المرة تلو الأخرى فيزلزلون الأرض تحت أقدامهم فيفرقون . .

ولكن القدر الساخر يأبى إلا أن يمنح ايطاليا نصراً ساخراً ، فقد اندلع لهيب الثورة فى البلقان بفعل فاعل فى اكتوبر سنة ١٩١٢ فتخلت الحكومة العثمانية عن طرابلس وبرقة لتنقذ نفسها وترد العدو الهاجم على عاصمتها

أوريعود مع السيد السنوسى فى غواصة ألمانية.ومصطفى كمال يعودعن طريق أوربا

أنور رجل الساعة

البلقان الآن ملتهب تكاد ناره تلفح استامبول

والدول البلقانية تطالب باستقلالها الذى مهدت له معاهدة برلين المشئومة فى سنة ١٨٧٨ ، وتعمل على إرواء حقدها الصادى من دماء الأتراك العثمانيين

والروسيا من خلف البلقان تسوق دويلاته إلى المعمعة

النكبات تتابع على الحكومة العثمانية : فالبلغاريون حاصروا ادرنة ووصلوا إلى (مصطفى باشا) و (قرق كليسه) وأشرفوا على العاصمة . . واليونانيون احتلوا معظم مقدونيا . . والصربيون استولوا على معظم ألبانيا ودخلوا موناستير . . ثم عاد اليونانيون فدخلوا سلانيك . . ولم يبق فى يد العثمانيين من املاكهم الأوربية إلا أدرنة واشقودرة ويانيا ولسان غاليبولى والاقليم الواقع بين شاطلجة والبسفور . . .

ولو لم تتدخل دول أوربا فى الأمر وتقف رحى القتال لما بقى لتركيا شبر واحد فى الأرض الأوربية

ولكن تدخل الدول الأوربية زاد الطين بلة ، فقد عرضت على تركيا معاهدة صلح لا قبل لها باحتمالها . ودعا الصدر الأعظم كامل باشا مجلس الوزراء للموافقة عليها استسلاماً للأمر الواقع

وعندئذ يثور أنور الذى عاد من طرابلس أخيراً ليرى بعينيه وطنا يهان ، وامبراطورية يتقلص ظلها ، فيقرر أحد أمرين : إما استرجاع الاملاك البلقانية ، وإما ضياع الوطن نفسه . . !

وهكذا كان أنور على طول الخط !

هوذا يدخل ديوان مجلس الوزراء فى طليعة الضباط المتحمسين . . هوذا يقتحم باب الوزراء فى أثناء توقيعهم شروط الصلح . . فيعترضه ناظم باشا وزير الحربية ، فيطلق عليه رصاصة من مسدسه تصرعه لتوه . . .

الوزراء يهرولون إلى الخارج وقد ملأ قلوبهم الذعر . . وأنور يعدو خلفهم مصوبا فوهة مسدسه إلى ظهورهم

حتى إذا ما خرجوا من ديوان الرئاسة اعلن سقوط الوزارة ، وتولى شوكت باشا رئاسة الوزارة الجديدة . أما هو فيحجز لنفسه وزارة الحربية

ويجتمع مجلس الوزراء فيقرر رفض شروط المعاهدة ، والدفاع عن الوطن المنكوب إلى النهاية . .

ويضع أنور خطة حربية لتخليص ادرنة من البلغاريين ، خطة جريئة ليس فيها شيء من التعقل . ويكون مصطفى كمال أول من يعترض عليها ويثبت فسادها . بيد أن أنور لا يقبل النقاش ، فتسير جحافله لملاقاة جيش البلغار ، وسرعان ما تفر أمامه كما تفر الانعام . . .

وفى ٢٦ مارس سنة ١٩١٢ تسقط ادرنة فى يد البغاريين بعد دفاع جليل باسل . وتشرف استامبول نفسها على الضياع

فتتدخل الدول الأوربية مرة أخرى وتملى على حكومة شوكت باشا شروط صلح اثقل من الشروط التى أملتها على الحكومة السابقة ، فتقبلها رغم انفها

ويتساءل مصطفى كمال : ماذا فعل أنور ؟

بيد أن المنازعات لا تلبث أن تقوم بين دول البلقان ، وتبدأ الحرب بين بلغاريا والصرب واليونان ، فينتهز أنور تلك الفرصة ويفاجىء ادرنة بقوات كبيرة فيدخلها دخول الظافر فى موكب تاريخى تحف به الأعلام والأكاليل

ويسير مصطفى كمال كاسف البال فى موكب النصر وكأنه يقول للمرة الثانية :

— أجل . . ماذا فعل أنور ! ؟

عناكب الالمان

قوبل استيلاء أنور على أدرنة بفرح شامل وسمت شخصيته حتى بلغت أوج العظمة وأنور — كما نعلم — صديق للألمان يرى فيهم المثل الأعلى للمدنية الأوربية المادية ومن ثم بدأ الالمان يلعبون دورهم بمهارة فائقة ،إذ كانوا على أبواب حرب طاحنة، وكانوا يريدون الوثوق من تركيا واتخاذها حليفة لهم وتكأة يعتمدون عليها فى الميدان حتى تكون شوكة فى ظهر انجلترا والروسيا ودول البلقان المعادية

فتقرب سفير المانيا فى استامبول الى أنور وأصبح نديمه ومجمع أسراره ، وحاز ثقته العمياء بعد أن أقسم له على أن المانيا ستقف دائماً فى صف حليفتها تركيا . ثم أطلعه على ماكانت انجلترا تحيكه من خيوط الدسائس منذ سنة ١٩٠٨ ، وكيف أنها حاولت

القضاء على حكومة الاتحاد والترقى الناشئة ، كما حاولت بث روح العداء والشقاق بين أعضاء الجمعية أنفسهم مما أدى الى خروج بعضهم عليها وتقربهم الى السياسة الانجليزية

والحق يقال ان تركيا كانت فى ذاك الوقت مزرعة خصبة لسياستين متضادتين : السياسة الانجليزية ، وترمى الى احباط الأتراك ودفعهم الى مواطن الضعف والتورط ، والسياسة الالمانية التى كانت تحارب الانجليز وتحاول أن تتخذ من تركيا حليفة لها فى الحرب المقبلة

واجتمع مؤتمر السفراء فى سنة ١٩١٢ ليصدر قراراته ضد تركيا . فلم يرتفع فيه صوت منصف الا صوت سفير المانيا البارون فون مارشال ، فقد قام يدافع عن تركيا ويحاول أن يثبت أن أساليب المؤتمر لا شك فاشلة . ولما سقطت وزارة كامل باشا (التى خلفت حكومة الاتحاد والترقى ـ وكانت انجليزية النزعة) تحت تأثير الرأى العام يدفعه الألمان من وراء ستار ، كان هذا فوزاً جديداً للسياسة الالمانية

وقد بلغ نفوذ الالمان أوجه فى سنة ١٩١٤ عندما رفضت انجلترا تسليم المدرعتين التركيتين « سلطان عثمان » و « رشيدية » المصنوعتين فى الأحواض الانجليزية ـ ولم تكن تركيا قد دخلت الحرب بعد ـ فقد اعتبر هذا الرفض عملا عدائياً من شأنه أن يقضى على نفوذ انجلترا فى تركيا قضاء مبرما ، وأن يدفع الأتراك الى أحضان المانيا التي احتضنتهم وتبرعت لهم بمدرعتين (هما جوبن وبرسلاو) . . وسرعان ما دخلت المدرعتان المياه العثمانية وسط عاصفة من الهتاف لالمانيا الصديقة . . .

وبهذه المناسبة نذكر أن جمال باشا صرح فى مذكرته بأن المانيا لم تتبرع بهاتين المدرعتين بل اضطرت لذلك اضطراراً ، فقد أعلنت الحرب العظمى والمدرعتان بالقرب من المياه التركية ، فدخلتاها للاحتماء فيها ، ومن ثم قامت مشكلة دولية : فتركيا لم تدخل الحرب بعد ، وسفيرا انجلترا وفرنسا يطلبان تسليم المدرعتين ، وسفير المانيا يأبى الا أن تتحمل تركيا تبعة هذا الموقف الشاذ ولو بدخول الحرب فى صف المانيا ـ ولعل ذلك كان غرض المانيا من إرسال المدرعتين الى المياه التركية فى تلك الأزمة العصيبة ـ فمال أنور الى قبول الدخول فى الحرب ضد الحلفاء ، ولكن أعضاء الوزارة نصحوه بالتريث ، واقترح أحدهم أن تتظاهر المانيا بأنها باعت المدرعتين لتركيا قبل الحرب ، وأنها الآن تسلم البضاعة . . وفعلا وافقت الحكومة الالمانية على هذا الاقتراح العجيب ! . . .

وشاعت فى تلك الأثناء اشاعة ـ أيدتها المصادر الرسمية ـ بأن المطالب التى قدمتها تركيا ـ نظير انضمامها للحلفاء ـ (وهى الغاء الامتيازات ، وإرجاع الجزر العثمانية ، وإزالة الشبح الروسى ، وحل المسألة المصرية) لم تجب ، وأن استامبول منحت للروسيا نظير مساعداتها للحلفاء ، فزاد ذلك فى سرعة التقرب بين المانيا وتركيا

وفى ذات يوم زارت خالدة أديب جمال باشا وزير البحرية ، فقالت له فى معرض الحديث عن الحرب : « أخشى أن أقول يا باشا ان حكومتنا مندفعة نحو الحرب . . » فضحك جمال باشا وقال : « لا يا خالدة هانم لن ندخل الحرب . . » فقالت : « وأنى لكم ذلك ؟ » قال : « ان لى من القوة ما يرغمهم على عدم الدخول فى الحرب . واذا فشلت فسأستقيل . . ان الحرب عمل جنونى . . »

وكان جاويد بك وزير المالية على هذا الرأي أيضاً

على أن الصدر الأعظم سعيد حليم ومعظم رجال وزارته كانوا يميلون الى الحرب. بل قيل ان التحالف التركى الألمانى تم فى ٢ أغسطس سنة ١٩١٤ ـ أى قبل أن تدخل تركيا الحرب بأكثر من شهرين ، ولم يكن حياد تركيا المؤقت إلا ذراً للرماد فى العيون . ولو أنها كانت تريد البقاء على الحياد لما استبقت الضباط الالمان فى خدمتها بعد دخول المانيا الحرب

وكأن الالمان كانوا يريدون أن يكون الاجماع تاماً على دخول تركيا الحرب ، فأوعزوا الى الصدر الأعظم أن يقنع جمالا بوجهة نظره ، وقابل البارون فون فانجنهايم سفير المانيا جمالا بنفسه وقال له : « يا جمال باشا . . ألا ترى ما أداه الضباط الالمان لكم من الخدمات الجليلة فى وقت قصير ؟ ان لديكم الآن جيشاً يقارن بأحدث الجيوش نظاماً ، وإنا واثقون من الظفر اذا استطعنا أن نكون حلفاء لأمة مثل امتكم لها مثل هذا الجيش ! »

ولكن جمالا أصر على رأيه ، وكذلك فعل جاويد بك . فأمضى التحالف التركى الالمانى سراً دون أن يطلع عليه هذان الوزيران . بل قيل ان معظم الوزراء لم يطلعوا عليه إلا بعد أن أصبح حقيقة لا مفر منها . .

ثم انضمت بلغاريا الى صف المانيا فتعزز مركزها فى البلقان . وتلت ذلك هزيمة المارن فتعزز مركزها فى غرب أوربا . وأخيراً نشبت معركة ـ لا زالت حقيقتها غامضة ـ بين السفن التركية والسفن الروسية فى البحر الأسود ، وكانت السفن

الروسية تضع الألغام فى المياه التركية ، فأعلنت تركيا دخول الحرب فى صف المانيا تحت ضغط كل هذه الظروف فى ١٨ أكتوبر ١٩١٤

واستقال جاويد بك وبعض الوزراء . أما جمال باشا فلم يستقل ! *

من صوفيا . . إلى جناق قلعة

شهد مصطفى كمال الصراع الهائل بين التيارين : الألمانى والانجليزى ، وكان لا يميل إلى دخول الحرب فى صف ألمانيا وحسب ، بل يرى فى الحرب كارثة عظيمة تحيق بالامبراطورية العثمانية

فلما برم به أنور ، تخلص منه بأن عينه ملحقا عسكريا بسفارة تركيا فى صوفيا ـ وكان السفير إذ ذاك فتحى بك الذى عرفناه فى حرب طرابلس

والآن ـ وتحت ضغط الظروف القاهرة ـ يذهب مصطفى كمال إلى صوفيا وكأنه ذاهب إلى المنفى .. وسرعان ما تعلن تركيا دخولها الحرب . . فيقع عليه هذا الخبر وقوع الصاعقة ، ويقول فى مذكراته واصفا هواجسه :

« كنت إلى ذلك العهد غير مصدق ماحدث، ولم أكن اعتقد أن تركيا ـ التى يستدعى دعوة جيشها إلى حمل السلاح شيئاً كثيرا من الروية ـ تدخل الحرب بتلك السرعة أثر حادثة بسيطة وقعت فى البحر الاسود ، ولا أعلم إلى اليوم كيف وقعت . . وكنت أشكو من دخولنا الحرب ، ولكن شكواى كانت تقابل بفتور ، وضرب بتنبؤاتى عرض الحائط ، لأنى لم أقتصر على التأفف من دخولنا الحرب ، بل كنت أقول بهزيمة ألمانيا وحلفائها الذين دخلوا الحرب معها . . وكانت أقوالى فى ظرف يكذب ادعائى : لأن المانيا كانت تتقدم بخطوات واسعة قوية نحو باريس . . فى هذا الظرف الغريب ، وفى هذا الزمن الذى اصبح الناس فيه يلهجون ثملين بنتيجة الفوز المحقق لالمانيا وحلفائها ، يقوم ملحق عسكرى فى صوفيا فيبدى ملاحظات غريبة لرجال عديدين فى الآستانة ، ويسود لهم صفحات مطولة محاولا اقناعهم بأن تركيا تأتى أمراً

---

* بعد كتابة ما تقدم قابلت رءوف بك فى زيارته الأخيرة للقاهرة وسألته عن أسباب دخول تركيا الحرب فى صف المانيا ، فذكر من الأسباب ما لا يخرج عما ذكرناه آنفاً ، وزاد عليها أن تركيا ـ بدخولها الحرب مع المانيا ـ انما كانت تدافع عن كيانها ، ولو أنها بقيت على الحياد لراحت للأعداء غنيمة باردة

منكراً بدخولها الحرب . . ألا يكون مثل هذا الرجل مجنونا ؟ وهل يستحق غير هذا الحكم فى مثل هذا الزمن ؟ »

بيد أنه ـ رغم كل ذلك ـ ابن بار لوطنه ، وما دامت تركيا دخلت الحرب فلابد له من دخولها ، وليست « حياة الصالونات » ـ على حد تعبيره ـ تتناسب مع رجل الحرب والكفاح . .

إذاً لابد من العودة إلي الوطن ، وقيادة الجيوش فى ميادين القتال . .

هانحن أولاء نراه جالسا إلى مكتبه يحرر طلبا بالعودة إلى وظيفته فى الجيش العامل . . ولكن القيادة العامة لا ترتاح إلى هذا الطلب ، وأنور لا يرحب بعودته ، بل يرجو منه أن يظل فى صوفيا « نظراً لأهمية وجوده فيها . . »

فيجيب مصطفى كمال بقوله : « لا توجد وظيفة أشرف أو أجل من الوظائف العملية للدفاع عن الوطن . وأنا لا أستطيع أن أظل هنا ملحقاً عسكريا بينا أرى إخوانى وزملائى يقومون بواجبهم فى ميادين الحرب وخطوط النار . . »

ولكن الرد يتأخر . . فتثور ثائرته ، ويصمم على خرق القانون والعودة إلى وطنه دون إذن من القيادة العامة ، ولو أدى ذلك إلى أن يذهب إلى ميادين القتال كجندى متطوع . . .

وأخيراً تصله برقية تقضى بتعيينه قائدا للفرقة التاسعة عشرة ، وتطلب عودته على جناح السرعة . .

فيعود إلى الآستانة . ويسرع إلى وزارة الحربية حيث يتقدم إلى كبار موظفى الوزارة ليتعرف على فرقته ، فيقولون ـ أى والله هكذا . . . ـ انهم لا يعرفون فرقة تدعى « الفرقة التاسعة عشرة » !

ويصبح الموقف شاذا غريباً :

قائد بلا فرقة . . وموقف كموقف الرجل النصاب المزور . .!

على أنه ـ بعد البحث الطويل ـ يصل إلى فرقته . . ثم يذهب لمقابلة ليمان فون ساندرس رئيس هيئة أركان حرب الجيوش التركية بناء على طلبه ، فيسأله فون ساندرس أن يدلي بمعلوماته ـ كملحق عسكرى فى سفارة صوفيا ـ عن سبب احجام بلغاريا عن دخول الحرب فى صف المانيا ، فيجيبه مصطفى كمال بكل بساطة :

ـ لأن بلغاريا كانت تشك فى نجاح المانيا . . .

فينفعل ليمان فون ساندرس ويسأله عن رأيه الخاص ، فيعرب له عن تنبئه بفشل المانيا ! !

بطل الدردنيل

كان نلسون يقول : « كل بحار يهاجم القلاع أبله . . »

بيد أن المجلس الحربى الذى تألف فى ١٣ يناير سنة ١٩١٥ من ونستون تشرشل اميرال البحر ، وكتشنر وزير الحربية ، وفيشر ، ولويد جورج ، واسكويث ، لتقرير حملة الدردنيل لم يعبأ بكلمة نلسون . . وقد يكون معه بعض الحق ، فقلاع الدردنيل عتيقة لا تقوى على مدافع البوارج الانجليزية الضخمة

ثم إن الروسيا كانت فى شبه عزلة . وكان ما يقرب من مليون جندى فى حاجة ملحة إلى السلاح . فكان لا بد من النفوذ اليهم : إما من بحر البلطيق ، وإما من الدردنيل . وكفة الدردنيل هى الراجحة

وافتتحت الجلسة بكلمة من تشرشل فى وجوب الموافقة على حملة الدردنيل . ثم تلى تقرير مدير الأعمال الحربية الذى قال ان هذه الحملة تتطلب نفقات هائلة وعدداً من الجنود لا يقل عن ٦٠ الف جندى . ثم تلى تقرير آخر من الاميرال جاكسون قال فيه : « ان من البلاهة أن ندخل بحر مرمرة قبل أن يحتل جنودنا شبه جزيرة غاليبولى وتقضى على كل مقاومة للاعداء .. ولابد من احتلال استامبول وما جاورها أيضاً . . » ثم قرىء رأى الاميرال كاردن ونوقشت خطته الحربية التى تقضى بالتقدم على دفعات متتالية

وعقد اجتماع ثان فى ٢٨ يناير فكان كالاجتماع الأول ، وان تكن الروح المعنوية فيه أشد هبوطاً . . وران على المجتمعين الشك المريب ، وظهر على اميرالات الاسطول التردد ، وهدد فيشر بالاستقالة . . فأخذه كتشنر إلى ركن من قاعة الاجتماع وتحدث إليه ملياً ، ثم دفعه إلى كرسيه فى شىء من الخشونة . .

وأخيراً تقرر القيام بحملة الدردنيل : بالبوارج !

* * *

فبراير سنة ١٩١٥

مياه الدردنيل ساجية وشواطئه لا ترى عليها أثراً لجندى أو مدفع . . فاذا أمعنت النظر فى المياه رأيت تسع شبكات من الالغام ، وفى الشواطىء رأيت القلاع والجبال تخفى عشرات الألوف من الجنود

البوارج الانجليزية « اندوميتابل » و « انديفا تيجابل » و « جلوشستر » و « ووريور » و « دبلن » و « كوين اليزابث » و « تراينف » و « نلسون » و « أغا ممنون » الخ الخ . . . . والفرنسية « سفرر » و « فريتى » و « لوجالوا » و « شارلمان » و « سانت لويس » مرابطة على أبواب الدردنيل

وفجأة يصدر الامر بالهجوم على القلاع : فتصب البوارج قذائفها على قلعتى « سد البحر » و « ارطغرل » على الشاطىء الأوربى ، و « قوم قلعة » و « أوزانية » على الشاطىء الاسيوى ، ويحاول الاسطولان الانجليزى والفرنسى انزال الجنود إلى الشاطىء ، ولكن هيهات : فقلاع الدردنيل العتيقة تصد البوارج ، وهاهى ذى كلمة نلسون تتحقق إذ تثبت بلاهة مجلس الحرب . .

ولكن هل اقتنع تشرشل وكتشنر ولويد جورج واسكويث ؟

كلا . . فها هى ذى برقية من تشرشل تقول : « إذا لم يكن من الخسائر بد فان الغاية تبرر ضياع بعض قطع الاسطول . . » لأنه « لابد من شطر الامبراطورية العثمانية إلى شطرين وتغيير وجه التاريخ . . » ومن الواجب « اسكات قلاع المضيق بكل ما لديكم من المدافع . . »

الاميرال كاردن يعود الى مالطة لأنه مريض ، فيتسلم القيادة الأميرال روبك ، ويظل فى حيرة من أمره فتنتهز المدمرات التركية تلك الفرصة لتعاود تلغيم الدردنيل

وفى صباح ١٨ مارس يصدر الأمر إلى قطع الاسطول بالهجوم ، فتدنو من الطوابى التركية تصب عليها نيرانها أكثر من ثلاث ساعات ، فتصيبها بعطب كبير ، ولكن الطوابى من ناحيتها تغرق وتعطل ست بوارج كبيرة

وفى منتصف الساعة الثالثة تتقدم قطع أخرى من الأسطولين ، فتصاب قطعتان منها بقذائف الأتراك وتغرقان . . .

وفى منتصف الساعة الثامنة يعود الأسطولان : الانجليزى والفرنسى الى عرض البحر وقد خسرا ثمانى قطع من أكبر قطعهما ! !

خريطة
معارك الدردنيل

فنبتت حماقة مجلس الحرب للمرة الثانية

ويبرق قواد الأسطول الى لندن ملحين فى طلب القوات البرية

وأخيراً يقتنع تشرشل وكتشنر بضرورة الهجوم البرى ، فيوفد كتشنر زميله الجنرال ايان هاملتون الى الدردنيل لقيادة القوات البرية ، ويقول له : « لا أريد منك أن تكسب موقعة واحدة ، بل يجب أن تكسب الحرب كلها . . . »

ثم يأمر الجنرال بيردوود قائد القوات الاسترالية فى مصر بالتوجه الى الدردنيل بقواته الهائلة

ويرى ايان هاملتون أن جنوده ينقصهم التدريب العسكرى ، فيرسلهم الى الاسكندرية حيث يدربون ويعودون الى ميدان القتال

وتمر بضعة أسابيع فى نقاش طويل وجدال فى وجهات النظر ، وأخيراً يقر القرار على انزال الجنود فى البر فى يوم ٢٥ ابريل

وفى صباح هذا اليوم يخطب هاملتون فى الجنود قائلا :

« يا جنود فرنسا ! يا جنود الملك ! نحن مقبلون على عمل لم يسبق له مثيل فى الحرب الحديثة . وسنتعاون مع اخواننا بحارة الأسطول لانزال قواتنا الى شاطىء مفتوح أمامه مواقع يحاول أعداؤنا أن يثبتوا أنها لا تنال بالحرب . فاذا وضعتم أقدامكم على شبه جزيرة غاليبولى فقاتلوا حتى ننتصر نصراً حاسما . . العالم كله يتطلع الى تقدمنا فأثبتوا أننا بالثقة العظيمة التى وضعت فى جيشنا جديرون . واطمئنوا دائماً الى دعاء الملك »

***

والآن لندع الأسطول الانجليزى الفرنسى يستعد للمعركة ، ولنتجه صوب الساحل فأين نرى مصطفى كمال ؟

نراه فى الجزء الجنوبى من شبه جزيرة غاليبولى قائداً لجيش من الجيوش المدافعة عن الدردنيل ، ونسمع مشاحنات لا تنقطع بينه وبين ليمان فون ساندرس ، ثم نسمع ليمان يقول رغم ذلك : « انه ضابط بارع . . انه زعيم . . »

ويعود أنور من حملة الروسية الفاشلة ويعرف أن غريمه كمالا يقود جيشاً فى الدردنيل ، فيغضب ويأمر فون ساندرس بابعاده . . . ولكن فون ساندرس يفرق بين الخصومة والمنفعة ، ولذلك نراه لا يعبأ بأمر أنور ويعين كمالا قائداً للفرقة التاسعة

عشرة فى منطقة مايدوس على شاطىء غاليبولى ، فى المنطقة التى ستبدأ فيها المعارك . .

. . . . . .

فجر يوم ٢٥ ابريل سنة ١٩١٥

البحر ساكن لا تتحرك فوقه مائجة . والساحل هادىء فى انتظار عشرات الألوف من القتلى الذين سيدفنون فيه

الانجليز يقتربون من الساحل بمدرعاتهم ، ويوجهون قلب هجومهم الى المنطقة التى ينتظر فيها مصطفى كمال

ولكن التيار قوى . . وهو يدفع النقالات من جهة (قاباتبه) الى (أرى بورنو) ويجد الاستراليون أنفسهم فى مواجهة مرتفعات (تشونوك باير) فيتسلقونها

وبمحض المصادفة يكون مصطفى كمال على مقربة من تلك القمة . فيرى الجنود الأتراك فى حالة تشبه الهجوم . فيسألهم : ما الخبر ؟ فيقولون ان الانجليز شرعوا فى الهجوم ..

فهل يتردد مصطفى كمال ؟ وهل ينتظر الأوامر من رئيسه الأعلى فون ساندرس ؟ كلا . فالدقائق تمر سراعا . وكل دقيقة تمهد لانتصار الانجليز

إذاً ليأخذ المسئولية على عاتقه وحده

« هلم أيها الضباط إلى قمة (تشونوك باير) ! »

ويسير فى الطليعة والضباط خلفه يتعثرون فى الصخور . حتى يبلغ القمة فيرى منظراً مفزعاً : فالاستراليون أوشكوا أن يبلغوا القمة . .والرصاص ينهال عليه كالمطر..

« اسرعوا إلى المعسكرات واستدعوا الجيش ! »

وفى دقائق معدودات تصل الفرقة السابعة والخمسون . فيقذف بها فى وجه الأعداء.. ثم تصل فرقة المدفعية ، فيدفع بعض المدافع بنفسه ويقذف بها فى وجه الاعداء أيضاً.. وتصل فرقة أخرى فيأمرها بالهجوم . . وتدور على مرتفعات (تشونوك باير) رحى معركة تشيب لهولها الولدان ، وأخيراً يقف الاتراك تقدم الاستراليين !

الليل يشهد استمرار المعركة . واليوم التالى يمر عصيباً على القاتلين . فتخور قوى الجنود ويقاسون أهوال الحرب والجوع والظمأ

ولكن هل يتركهم مصطفى كمال يستريحون فيفقد المعركة ويتيح للاعداء نصراً سوف يغير وجه الحرب العظمى ؟

انه يقف فى وسط المعمعة بأعصاب من فولاذ ، فيشجع جنوده تارة ويحمسهم

ويطمئنهم ويهددهم أخرى بصوت كالرعد . . ويظل فى هذا الجحيم حتى تخور قوى الاستراليين أيضاً ويقفون رحى المعركة دون بلوغ القمة ، فيتنفس الصعداء فقد انقذ مرتفعات (تشونوك باير) التى تعتبر مفتاح غاليبولى ، بل مفتاح استامبول نفسها

* * *

وتشرق شمس اليوم التالى على خنادق انجليزية وأخرى تركية تضم فى جوفها أكثر من مائة وعشرين الف مقاتل

وناهيك بحرب الخنادق وويلاتها !

فالأرض صاخدة ، والسماء ملتهبة ، والهواء خانق ، والريح تسفى الموت كلما هبت شمالا أو جنوباً ، والقذائف تنهال على الجنود ، حتى إذا ما هدأت المصارع خرج جنود الموت من بين الخرائب كالأشباح ليواروا موتاهم التراب جماعات بعضها فوق بعض . وانك لترى كالا بين هؤلاء الجنود يؤدى واجبين : واجب المساهمة فى دفن رجاله ، وواجب التجسس على الاعداء والكشف عن مخابئهم

انه لا يتعب ولا ينام . ويدير حرب الخنادق وكأنه ولد فى الخنادق . والقواد الاتراك والالمان الذين يعملون معه يشعرون بأنهم لا يؤدون عملا قط . فهو سيد الميدان دون منازع

أما الجنود فتحدث عن بطولتهم ما شئت :

فهذا الجندى الواقف فى وجه الموت يدع بندقيته جانباً ويخرج لفافة من التبغ ليدخنها وهو ساكن هادىء كأنه جالس فى منزله وبين أهله . وذاك يدفن الموتى من الأتراك فيرى بينهم ضابطاً استرالياً جريحا يهتف : « Mother ! Mother » أى : « أمي . . أمي . . » فتأخذه الشفقة فيحمله على ظهره ويتجه به صوب الأعداء . . صوب الرصاص المنهمر ولا يخشى الموت فى سبيل أداء واجب انسانى . فيراه الاستراليون فيقفون اطلاق الرصاص وينتظرون كأن على رءوسهم الطير . حتى يدنو منهم ويسلمهم جريحهم ، فتنهمر دموع الشكر من أعينهم ويقدمون له الحلوى والتبغ ، فيرفض قبولها . .

مصطفى كمال يرى ويسمع كل ذلك . فيكون لجنوده خير قدوة . ومن ذلك ما يرويه عنه كبار أركان حربه : فهو يخرج من الخنادق ليشرف على الميدان بنفسه ، فيراه الاستراليون ويقذفونه بآلاف من الطلقات . . ويشعر الضباط بحرج الموقف فيتوسلون اليه ألا يعرض نفسه للتهلكة ، فيقول : « كيف أخاف وجنودى لا يخافون ؟ »

ثم يمد يده الى جيبه فيخرج لفافة من التبغ ويشرع فى تدخينها بكل هدوء ، ويتحدث إلى ضباطه حديثاً طويلا . حتى إذا ما احترقت اللفافة عاد إلى الخندق بكل بساطة وكأنه لم ينج من الموت بأعجوبة . .

وفى الليل ـ إذ يجلس كمال فى خيمته ـ نراه يداعب بأصابعه بيانو كبيراً جلبه معه من استامبول . . وهذا البيانو ـ مع عدد من السجاجيد العجمية الأصيلة ـ هو كل ما يملك هذا الجندى من وسائل الترف فى جحيم غاليبولى

* * *

وتظل حرب الخنادق على أشدها حتى يرى مصطفى كمال أن أعصاب جنوده لم تعد تحتملها ، فيفكر فى الهجوم كعلاج شاف لأعصابهم ،وكانت حالة الميدان تسمح بهجوم موفق . ولكن سوء الطالع يحمل أنور على زيارة خطوط النار فى ليلة الهجوم ، فيرفض خطة كمال ويسخر منها . وتقوم بين الرجلين مشادة عظيمة تتسرب إلى الضباط ، ثم إلى الجنود ، فيفكر كمال فى الاستقالة ، ولكن فون ساندرس يهدىء من روعه ويحمل أنور على الموافقة على الهجوم

بيد أن الجنود كانوا قد سمعوا بالمشادة ـ وكان الواجب يقضى باصدار الامر اليهم ساعة الهجوم ولذلك يفشلون فى هجومهم ، ويبتسم أنور ابتسامة الشماتة فيقدم كمال استقالته فى الحال . فيعود فون ساندرس إلى سابق سعيه ويلح عليه في وجوب سحبها

* * *

وفي ليلة أغسطس يشرع الانجليز فى هجوم جديد على مرتفع (خوجه تشيمن) بعد أن يئسوا من (تشونوك باير) ، فيزحف عليه ستة عشر الف استرالى ويكادون يبلغون القمة ، لولا مبادرة كمال إلى إرسال النجدات إلى القوات المدافعة عنها . فاذا ما أصبح الصباح وقف الاستراليون القتال . فينتهز كمال الفرصة ويزيد فى القوات المدافعة عن المرتفع ، وبذا يفوت عليهم فرصة الاستيلاء عليه

الانجليز فى حالة عصبية . والبرلمان الانجليزى يحمل على لويد جورج وكتشنر وتشرشل ويطالبهم بسرعة كسب المعركة

كتشنر يبرق الى السير ايان هاملتون يسأله عن أسباب هذا الفشل المتكرر ، ويصدر أوامره بالهجوم المتوالى العنيف

فيهجم الانجليز فى فجر يوم ٨ أغسطس من جهة خليج (سلفا) و (انا فرطة)

بغية الوصول الى مرتفع (تشونوك باير) . وتتدفق الفيالق الاسترالية والنيوزيلاندية على خطوط الأتراك فتكاد تخترقها ، ويكاد الأتراك ينهزمون ، لولا كمال وإرادته الفولاذية ، فهو يقلب الهزيمة نصراً ويرد الأعداء على أعقابهم

ويعترف فون ساندرس بأن هـذا النصر معجزة من أروع معجزات الحرب ، فيدعو كمالا فى المساء الى خيمته ، ويقوم له فى احترام وإجلال ويقول : « نحن الآن في أشد مواقف الحرب هولا . وجنودنا على وشك الانهزام . والأمداد لا تكاد تصلنا من استامبول ، ولذلك قررت أن أوليك قيادة جميع الجيوش المدافعة عن غاليبولى .. فهل تقبل القيادة ؟ »

هل يقبلها ؟ ! انه يتحرق اليها . انه يعيش ليرى هذا اليوم فكيف لا يقبلها ؟

* * *

وفي اليوم التالى يصل بضعة آلاف من الجنود الجدد فيأمر كمال جيوشه بالهجوم، فينطلق الأتراك من مخابئهم كالقذائف،ويكرون على الأعداء كرة تزلزل الأرض تحت أقدامهم فيفرون الى الساحل . . فيلاحقهم الأتراك بحراب بنادقهم ويقتلون منهم عشرات الألوف . . وفي هذا الهول يطلق الأسطول الأنجليزى مدافعه على الفريقين المتحاربين فتفتك بهما فتكا ذريعا

ولـكن الانجليز مصممون على بلوغ قمة (تشونوك باير) .وكتشنر لا يكاد يصدق أنباء الهزيمة . . ولذلك نرى في اليوم التالى هجوما هائلا على (تشونوك باير) ، ونرى الرعب يدب في قلوب القواد المدافعين عنها ، فهم لذلك يستدعون كمالا بالتليفون ، فيقول لهم ببرود عجيب : « لا تخافوا ودافعوا عن القمة حتى أصل اليكم . . »

وهناك على قمة (تشونوك باير) يقف كمال ومنظـاره المكبر في يده ، والطلقات تنصب حوله من كل جانب ، فيرى أن الموقف يستدعى هجوماً عاجلا ، وإلا فالهزيمة محققة . فيأمر بجمع جميع القوات ويكدسها في الخنادق ريثما تنتظم ، ثم يسير فى وسط الجنود كالذئب قائلا : « لا تتعجلوا الهجوم يا أبنائى . . انتظروا حتى ترونى خارج الخنادق ، حتى اذا ما لوحت بيدى فى الهواء فانطلقوا من مخابئكم واحكموا تصويب طلقاتكم الى الأعداء ، وسأكون أنا في طليعتكم . . »

وعند الهجوم (الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالى) يبرز كمال الى خط النار وحده.. ويقف فى الجحيم وحده . . ثم يلوح بيده فى الهواء وينطلق صوب الأعداء . .

الجنود يعدون خلفه ، وهتاف الحرب : « الله ! الله ! » تردده الآفاق . . . والاستراليون يفرون كالأنعام . . الى الساحل . . الى الماء . . فيفتح الأسطول أفواه مدافعه فتصب الموت عليهم وعلى الأتراك صباً . . وانك لترى من خلال القذائف والدخان جنوداً من الترك ينزلون الى الماء ويلاحقون العدو بحراب بنادقهم حتى يغرقوهم ثم يعود من ينجو منهم الى الساحل ويموت من يموت بقنابل الأسطول . .

وبذلك يخسر الانجليز معركة الدردنيل ، وينهزمون أشنع انهزام عرفوه في تاريخهم الطويل

* * *

ولا نود أن نطيل الحديث بعد ذلك فقد عاودوا الهجوم مرتين فارتدوا منهزمين

وفي ذات يوم من شهر ديسمبر يقف مصطفى كمال باشا ـ وهذه هي رتبته الجديدة ـ متطلعاً الى خنادقهم ، فيعجب لانطلاق المدافع دون أن يرى ثمة حركة تشعر بوجود الجنود . وإلى البحر فلا يرى الأسطول ، فيأمر الكشافين باستطلاع حقيقة الأمر ، فيعودون بعد دقائق ليقولوا إن الانجليز فروا من الميدان في الليل ، وإن هذه القنابل تنطلق من بضعة مدافع بطريقة أوتوماتيكية ! !

فيزحف الأتراك على خنادق العدو مهللين مكبرين . ويذهب مصطفى كمال باشا الى الشاطىء فيقف على صخرة تشرف على البحر ويتطلع اليه بمنظاره المكبر ، فيرى على بعد سحيق نقطاً سوداء لا تكاد تظهر الا لتختفي بعد قليل . . .

فيبتسم . . .

نروي فيما يلي حادثة وقعت ابان هذه المعارك ـ وإن كنا لا نعلم على وجه التحقيق فى أية معركة بالذات ـ لنطلع القراء على ناحية من نواحي شخصية كمال الفذة :

ففي احدى المعارك وقف كمال على راية يشرف على القتال . فرأى كتلة من الجيش يستشهد قائدها ـ وكان برتبة بكباشي ، فحل محله من هو دونه فى القيادة ، ثم استشهد بدوره ، فحل محله ضابط آخر رتبته أقل من رتبته ، وهكذا حتى وصل ضابط برتبة ملازم الى منصب القيادة

ورأى كمال أن الضابط يحسن ادارة رحى الحرب فصمم على منحه رتبة البكباشية بعد المعركة، ولكن تبين له بعد قليل من الزمن ان الضابط أبرق الى القيادة فى طلب الرتبة لأنه مرتبك ويخشى أن يتحمل المسئولية . . فاحتقره ، وصمم على ابقائه ملازماً طول عمره !

الوطن في خطر !

استامبول لابسة زينتها رافعة أعلامها : فقد انتصرت تركيا على الحلفاء وبرلين تخور بأنا فرطة ، وبطل أنا فرطة

ورجل الشارع ـ ولم لا نقول رجل الحرب ؟ ـ معجب بمصطفى كمال الذى انتصر فى أول معركة كبيرة قادها فى حياته

والهمس يكثر . . والمقارنة بين أنور المتهور المنهزم وجمال المدحور ، وبين مصطفى كمال المنتصر تسمعها من كلا الرجلين

فما لمصطفى كمال لا تطيب نفسه بهذا النصر الخالد والمجد الخالد ؟

إنه يعود إلى العاصمة كاسف البال مقطب الجبين لاعناً الساعة التى دخلت فيها تركيا الحرب فى صف المانيا المنهزمة !

أجل . . المانيا المنهزمة !

هوذا يقرأ انباء الميدان الغربى فيتأوه كما يتأوه الوحش الجريح

هوذا يذهب إلى صديق له في عموم أركان الحرب ويبسط له ما يساور نفسه من الشك والهلع على مصير بلاده ، ويدعم أقواله بأسانيد عسكرية لا تقبل الجدال ، فيطمئن الموظف خاطره ويفهمه أن وساوسه ليست إلا صورة مجسمة لقوة ايمانه بالوطنية ، وأن المسئولين عن الامبراطورية العثمانية مسوقون بما رأوه من عظمة الألمان وقوتهم التى لا تنازع .. فيقارعه مصطفى كمال الحجة بالحجة ، ويضرب له مثلا تلك المعركة التى خرج منها منتصراً ، ولولا أنه ـ وهو القائد التركى ـ تسلم القيادة العليا من فون ساندرس الالمانى لحاقت بالوطن هزيمة من أشنع الهزائم . .

فيقول له الموظف وقد برم به أخيراً :

— دعنا نعمل فى هدوء يا كمال وإلا كنت مسئولا أمام ضميرك ، فسنقوم بأعمال جليلة يطيب لها خاطرك وتدهش العالم أجمع !

مصطفى كمال يبتسم ابتسامته الصفراء المعهودة ، ويحتقر فى قرارة نفسه هؤلاء الموظفين الذين يجهلون كل شىء ، ويتظاهرون بمعرفة كل شىء . . فيخرج من عند الموظف وهو يقول لنفسه :

— كيف يعرف هذا الدعى مصير الحرب ، فى حين أن أنور نفسه لا يعرف من

مصيرها إلا ما يريد الألمان أن يعرف ! ؟

ثم يزور الصدر الأعظم طلعت باشا ، هذا الرجل الكبير المخلص لبلاده ، فيسمع منه تلك النغمة بذاتها

فيذهب إلى وزارة الخارجية ويطلب مقابلة الوزير . فيرى هناك طائفة من زائرى الوزراء المعهودين : نصفهم مداهنون ، والنصف الآخر من عشاق السياسة والمناقشات السياسية الافلاطونية . ويسمع أحاديث الحرب ومصائر الامم والشعوب من طائفة هي أبعد الناس عن السياسة والحرب ، فيبدى لهم احتقاره الشديد . .

ويتجاهل الوزير حضوره حينا ثم يسمح له بالمقابلة . فيأبى رجل الحرب إلا أن يلقى على رجل السياسة درساً قاسياً ، فيقول للحاجب بصوت جهورى يسمعه كل الحاضرين ـ وفيهم الوزير طبعاً :

— لينتظر سعادة الوزير . .

ثم يتحدث إلى أحد الموظفين بضع دقائق حتى يطمئن إلى أن الوزير تلقى الدرس ، فيدخل عليه ، فيحييه الوزير ببشاشة ويظهر له ارتياحه من السياسة العامة . . فيناقضه مصطفى كمال ويظهر له قلقه الشديد على مصير الوطن ، ويعرض عليه حلا هو التخلص من سيطرة الالمان على شئون وزارة الحربية ، ومعالجة الحرب بعد ذلك بما تقتضيه مصالح تركيا وحدها لا مصالح المانيا الجشعة . . فيحتد الوزير ويقول له إن وزارة الحربية أجدر من وزارة الخارجية بالنظر فى حلوله ، وبذا تنتهى تلك المقابلة على لا شيء ، ويخرج رجل الحرب من عند رجل السياسة الثعلبية ليقول فى مذكراته :

« أما أنا فكنت على ثقة من أن هؤلاء الرجال الذين لا يعرف لهم رأس ولا ذنب ، والذين يتأله بعضهم بدعوى العبقرية ، ويتيه بعضهم بدعوى العلم ، ويختال بعضهم بدعوى الدكتاتورية ، لا يستطيعون أن يصلوا إلى مصطفى كمال الحقير بأى أذى . إنهم كانوا يقدرون على شيء واحد هو القاء القبض على مصطفى كمال وشنقه استناداً إلى ما بأيديهم من قوة وسلطان . بيد أنى كنت أعد من النعم الجزيلة أن تسمع الأمة فى ذلك اليوم نبأ عصيانى . . . »

ولم يذهب إلى وزارة الحربية طبعاً ففيها أنور الساخط عليه ، وفيها مئات من الالمان الذين إذا رأوه قطبوا وجوههم وكشروا عن انيابهم

وأخيراً يعود إلى مخدعه فى فندق « بيرا بالاس » ليقضى ليله ساهراً يحز على

أضراسه ويعلن سخطه على أنور الدكتاتور ، ووزير الخارجية الدبلوماسى ، وسائر من فى وزارة الحربية من الالمان

قائد لفلول أنور !

عفا الله عن أنور . فان التاريخ لن يغفر له طيشه وحركاته الجنونية

ما باله يسوق اكثر من مائة الف مقاتل من زهرة الشباب التركى الى القوقاز فى تلك الحملة المشئومة التى تذكرنا بحملة نابليون الروسية ؟

لقد أراد أن يقوم بعمل كبير من شأنه أن يدحر الروسيا فى الشرق كما دحرها الألمان فى الغرب . ولكنه لم يفطن الى استحالة الحرب فى القوقاز ـ وخاصة فى الشتاء ـ فدفع بجحافله الى الثلوج والجوع فهلكت . فلما أيقن من فشله ترك فلولها على الحدود الروسية ، وعاد الى استامبول ليرى بعينى رأسه انتصار غريمه على الحلفاء فى الدردنيل ، وها هو ذا الآن يعين غريمه قائداً لهذه الفلول !

مصطفى كمال يقبل هذا التعيين راغماً ، ويذهب الى مقر قيادته ، فيرى أن الروس الذين هاجمهم أنور انقلبوا ملهجين ، وأنهم احتلوا وان وبتليس وموش وأرضروم واستعدوا لهجوم واسع النطاق على تركيا نفسها

ويعرض جيشه فيهوله ما يراه من ضعفه وقلة تدريبه ونقص مؤنه وذخائره . فيبرق الى وزارة الحربية وإلى أنور فى طلب المدد والسلاح والمهمات والأغذية ، فلا يصله رد ، ولا تعبأ وزارة الحربية بطلباته . فيعكف على جيشه بحالته الراهنة ويحاول إتيان المستحيل لتدريبه وإعداده لملاقاة الروس ، ويكون عصمت وكاظم قره بكير أكبر عون له فى هذا العمل الشاق : عصمت الذى يتجاهل الكلام الكثير ويعرف العمل الكثير ، وكاظم قره بكير الجندى الخشن الذى ينفذ الأوامر العسكرية بحذافيرها

وبينا هؤلاء الثلاثة فى عملهم الشاق ، اذا بالقيصرية الروسية تتقاذفها التيارات السياسية فتصبح كالريشة فى مهب الرياح . واذا بالثورة الحمراء توشك أن تأكل الأخضر واليابس

الثورة تتسرب من بطرسبرج الى معسكرات الروس فى سائر الميادين . ومصطفى كمال يشاهد انحلال الجبهة الروسية المعسكرة أمامه فيشكر للمقادير عملها على ازاحة

هـذا الخطر الجسيم على كيان تركيا . فاذا شرع الروس فى التقهقر وغادروا الميـدان الشرقي الى ميدان الـكفاح الأحمر فى الروسيا نفسها ، شرع هو فى التقدم الى الشمال فتراه يدخل وان وبتليس وموش وبذا يستعيـد ما خسره الأتراك بحماقة أنور . ثم يتقدم شطر باطوم ويقضى على كتل هائلة من الارمن المؤملة فى بعث أرمنستان من عالم التاريخ والأنقاض

وبينا هو فى هذا العمل الشاق ، إذا بالأمر يصـدر اليه بالسفر الى سوريا حيث الخطر الانجليزى الذى ينذر باقتطاع الشرق الأدنى من حوزة الامبراطورية العثمانية

* * *

والآن ننتقل الى حلب فى شمالي سوريا

أنور ، وجمال ، وفلـكنهاين يشرفون على الحركات العسكرية فى ميدان الشرق الأدنى

الانجليز دخلوا بغداد وهددوا الموصل . وهم الآن يستعدون لهجوم واسع النطاق لاجلاء الأتراك عن اليمن والحجاز والعراق وسوريا وفلسطين . والذهب الانجليزى ينثره لورانس الجاسوس ذات اليمين وذات الشمال . ومس بل فى العراق توشك أن تجنى ثمار ما غرسته طوال السنين فى القبائل العراقية الـكردية

مصطفى كمال يهبط الميدان فيقنط من النصر منذ الساعة الأولى . وقواد الميدان يشرحون له خطة الهجوم على بغداد ومصر فيعارض فيها معارضة شديدة . فيحـاول فلـكنهاين أن يستميله بالرشوة ويرسل اليه صندوقا مملوءاً بالذهب . فيعيده اليه مصطفى كمال محتقراً تلك الوسائل الحقيرة لـكسب القلوب

وفى ذات يوم ينعقد المجلس الحربى لمباشرة تنفيذ الخطط الحربية . فيهوى مصطفى كمال على القواد بنقـد جارح . ويسود المجلس جو من النقاش الحـامى . ويوجه فلـكنهاين الى مصطفى كمال كلاما جارحا . فيرد عليه كمال بقارص الـكلم . ثم يستقر رأيه على الاستقالة . . فلا يقبلها أنور . فيصر كمال عليها . فيقول أنور إنه سينقله الى ميدان أرضروم . فيرفض كمال العودة الى ذلك الميدان الذى لم يعد فيه نشاط حربى . فيرى أنور أن خير طريقة للتخلص من هذا الموقف الشاذ هو منح كمال إجازة مرضية الى أجل غير مسمى . ولـكن فلـكنهاين لا يوافق على الاجازة ويرى محاكمة القـائد المتمرد امام مجلس عسكرى ، وأخيراً يستقر الرأى على الاجازة المرضية

ويعود مصطفى كمال الى استامبول بمال يقترضه من جمال ، مؤثراً البطالة على الموافقة على خطط حربية يرى أنها لاشك فاشلة

مع هندنبرج في خط النار

مصطفى كمال مقيم فى فندق بيرا بالاس باستامبول

وفى صباح ذات يوم يصدر اليه الأمر بمصاحبة ولى العهد محمد وحيد الدين فى رحلة إلى خط النار فى الميدان الغربى

يالها من فرصة سعيدة !

المانيا تشعر بما يجيش فى صدور الترك من القلق على مصيرهم ، فترتب تلك الزيارة الشاهانية وتدعو محمدا الخامس لزيارة الميدان الغربى ، فتعتذر الحكومة العثمانية بمرض الخليفة ، وتنيب عنه ولى عهده ، وتلحق به كمالا الثائر على المانيا والحرب فى صف الالمان ليرى بعينى رأسه عظمة الالمان فى خط النار

فكرة بديعة من أنور . . وسيعود كمال من تلك الزيارة متحمساً لالمانيا ، عاملا على مساعدتها والتضحية بكل مرتخص وغال فى سبيل نصرتها . .

مصطفى كمال يدرك كل ذلك فى طرفة عين . فيبتسم ابتسامته الصفراء . ويذهب هو وناجى بك استاذ فن التربية العسكرية بالمدرسة الحربية إلى السراى ليقابل ولى العهد ويتعرف اليه قبل مصاحبته فى السفر

ويرى الرجلان ولى العهد محمد وحيد الدين : كهلا خائر الاعصاب خامد العقل لا يفيق من نومه ـ أو تناومه الدبلوماسى . . . ولا تبدو عليه بارقة من الذكاء !

ويتساءل مصطفى كمال :

ـ كيف يهيمن هذا الابله على مصير الأمبراطورية العثمانية فى يوم من الأيام ؟

ويحين السفر ، فيذهب ولى العهد الى المحطة فى حلة ملكية ـ مع أن مصطفى كمال كان قد نصحه بلبس الحلة العسكرية ـ لأنه موفد فى بعثة عسكرية . .

وظهر بعد التحرى أن ولى العهد (زعلان ..) فقد انزلت رتبته من فريق إلى أمير لواء ، وهو لذلك يرفض أن يلبس الحلة العسكرية ويؤثر عليها الحلة المدنية فى زيارة خط النار ! !

ثم يعرض ولى العهد الجنود المصطفين لوداعه ، فيجهل أبسط قواعد العرض العسكرى ، ويكاد الجنود انفسهم يضحكون لفرط جهله وبلاهته . .

ثم يقوم القطار ويجتاز الحدود التركية فى طريقه الى المانيا

ويدعوه ولى العهد إلى صالونه ، فيدخل عليه مصطفى كمال فتأخذه الدهشة : فقد تبدل ولى العهد رجلا آخر غير الرجل الخامل الذى لا يكاد يفيق من نومه ، والذى يجهل كيف يعرض الجنود . .

تبدل ولى العهد فظهر فى لحاته ولفتاته وبريق عينيه دهاء وبعد نظر . .

وظهر لمصطفى كمال بعد ذلك أن تلك البلاهة التى كانت تبدو على وحيد الدين لم تكن إلا نقابا يخفى به ولى العهد أهليته للحكم ، فقد كان فى تقاليد خلفاء آل عثمان أن يكون ولى العهد خاملا جاهلا لا يكاد يخرج من جناح الحريم ، وإلا فالنقمة تنصب عليه من الجالس على العرش . . ! !

ما بال ولى العهد يمتدحه ويثنى على شجاعته فى معركة الدردنيل ؟

إنه يقول له فى حماس ظاهر :

— انك انقذت الآستانة ، وبذلك انقذت كل شىء . .

ثم يتلطف معه فى الحديث ويحاول أن يختبر قلبه . . فيطمئن مصطفى كمال إليه ، ويرى فيه خليفة الغد وصديق المستقبل ، فيحاول أن يضمه إلى صفه ، ولذا نراه يحدثه حديثاً طويلا يخرج منه ولى العهد بأن الأمة التركية فى موقف عصيب : فهى على تكأة ظاهرها قوة وجبروت ، وباطنها غرور وسوء تقدير . وهؤلاء الالمان الذين دعوه لزيارة معسكراتهم لا شك منهزمون ، وسيرونه ما يريدون هم أن يرى . وأنه — أى مصطفى كمال — سيكون له خير ناصح ، فيطلعه أولافأولا على مواطن الضعف فى صفوفهم ، حتى إذا ما خلصت له الخلافة عمل على التخلص من نيرهم لمصلحة بلاده . .

ويصل القطار إلى بلدة صغيرة فيها المعسكر الالمانى الكبير . فينزل ولى العهد تتبعه حاشيته ويتوجه إلى حيث وقف أمبراطور المانيا وهندنبرج ولودندورف وغيرهم من كبار القواد ، فيسلم عليه ويقدم له حاشيته فرداً فردا — وفى طليعتهم مصطفى كمال — ويحاول أن يذكر للأمبراطور طرفا من تاريخه ، فيصيح الأمبراطور صيحة كلها إعجاب ودهشة :

— الفيلق السادس عشر . . أنا فارطة !

ويلتف الجمع الحاشد حول مصطفى كمال يفحصونه ويبدون الاعجاب به !

ثم يعود الامبراطور إلى الحديث فيسأله عما إذا كان حقيقة بطل أنا فارطة .

فيجيبه مصطفى كمال بالفرنسية : - Oui, Excellence

أى « نعم يا صاحب السمو » وكان الواجب يقضى بأن يقول : « نعم يا جلالة الأمبراطور »

ثم تذهب البعثة التركية إلى مكتب المريشال هندنبرج أكبر رجال الحرب فى المانيا ، فيقف الشيخ الجليل أمام خريطة الميدان ويلخص لولي العهد خططه الحربية بأسلوب شائق ولباقة ساحرة تؤثر فى ولي العهد أبلغ تأثير ، وفى ركن من أركان المائدة يجلس مصطفى كمال جلسة الفاحص المدقق ، فلا تؤثر فيه لباقة هندنبرج ، بل على العكس — يبدو عليه القلق الشديد

ثم يذهب ولي العهد إلى مكتب لودندروف ، فيعيد على مسمعه حديث هندنبرج ، فلا يطيق مصطفى كمال صبراً ، ويقطع على لودندورف حديثه بسؤال محرج :

— إلى أى خط تستطيع القوات المهاجمة أن تصل فى النهاية ؟

فيرتبك لودندروف ويقول بلسان متلعثم : « إنهم وكلوا غاية الهجوم للمستقبل »

فيرد عليه مصطفى كمال فى حدة ظاهرة ، بأن الغاية من الهجوم لا تحتاج إلى شرح طويل ، فهو هجوم موضعى لا يرجى منه خير — حتى فى حالة النجاح !

ويعود ولي العهد إلى الفندق فيلفت مصطفى كمال نظره إلى خطورة موقف الالمان ، ويلقنه بضعة اسئلة ليوجهها إلى الأمبراطور فى زيارته التالية

وبينا هم فى حديثهم ، إذا بالامبراطور يقبل عليهم ويجلس معهم ، فينتهز وحيد الدين تلك الفرصة ليوجه اليه سؤالا من اسئلة مصطفى كمال المحرجة ، فيقوم الامبراطور غاضباً ويقول لولي العهد :

— ألاحظ يا صاحب السمو أن هناك من يحاول تشويش ذهنكم ! !

ثم يقول إنه هو الأمبراطور ، وإنه يقول إن المانيا منتصرة ، ، ويخرج من عند ولي العهد وقد عرف تماماً أن مصطفى كمال هو صاحب هذا السؤال المحرج . .

وتجتمع البعثة على مائدة الامبراطور وبعد تناول الطعام يذهب المدعوون إلى الردهة المجاورة لقاعة الطعام ، فيرى مصطفى كمال هندنبرج واقفاً وحده ، فيتوجه اليه ويحدثه عن الحالة فى الميدان الشرقى ، ويظهره على جلية الحالة فى سوريا ، ويبين

له أن الارتباك الواقع فى صفوف الأتراك شديد ، ثم ينتقل إلى الميدان الغربى فيسأله نفس السؤال الذى وجهه للودندورف ، ، فيصمت هندنبرج ، ، ثم يتوجه الى مائدة كانت بجواره فيتناول منها لفافة من التبغ يقدمها لمصطفى كمال ويشعلها له ، ثم يتركه وشأنه !

ويدعى ولى العهد لزيارة خط النار بعد أن توضع له خطة مرسومة ، فيأبى مصطفى كمال الا أن يخرج على تلك الخطة ، ويرتقى شجرة عالية تطل على صفوف الأعداء ويتطلع الى الميدان بمنظاره المكبر ، فيهوله الموقف ، ويهبط الى الأرض ليسر الى الضباط الألمان بهواجسه ، فيوافقوه عليها

وبعد بضعة أيام يقيم لهم والى الالزاس وليمة عشاء ، ويجلس الوالى إلى المائدة ليتحدث عن الأرمن والمشكلة الأرمنية ، ويحض ولى العهد على التدخل فى الأمر لمصلحتهم ، فتثور ثائرة مصطفى كمال ويقول له :

— يا حضرة الوالى : نحن بعثة عسكرية جئنا إلى هنا للنظر فى حالة الميدان الغربى وتعرف حقيقة الموقف فى بلاد تحالفنا معها واعتمدنا عليها ، ولم نحضر للتحدث فى مسألة الأرمن . وقد فهمنا ما نريد أن نفهمه . وها نحن أولاء عائدون إلى بلادنا أخيراً . .

وكانت تلك الكلمة القاسية آخر كلمات مصطفى كمال فى تلك الزيارة التى حسب لها الألمان الف حساب

انتقام بديع !

عجيب والله أمر هذا الرجل الذى يكذب الدنيا كلها عندما يقول إن المانيا ستنهزم !

وأعجب من ذلك أن يذهب الى المانيا نفسها فيقول لامبراطورها وماريشالها لأعظم : « أنتم منهزمون ! »

وفى طريق العودة الى الوطن نراه يحيك شباكه حول ولى العهد وخليفة الغد ، فيوعز الى ناجى بك بأن يقبل منصب الياوران الذى عرض عليه — وكان متردداً فى قبوله — ليكون له عونا فى السراى . ثم يقابل ولى العهد ويدور بينهما الحديث التالى:

— أنتم لم تصبحوا سلطانا بعد . وقد رأيتم فى المانيا كيف ان الامبراطور وولى

العهد وسائر الأمراء يتقلدون مناصب عسكرية ، فلماذا تكونون أنتم بعيدين عن هذه المناصب ؟

— ماذا أستطيع أن أفعل ؟

— عندما تعودون الى الآستانة ، اطلبوا قيادة جيش من الجيوش وسأكون لكم رئيس أركان الحرب

— قيادة أى جيش ؟

— الجيش الخامس

وكان هذا الجيش هو المنوط به أمر الدفاع عن البواغيز ، وكان تحت قيادة ليمان فون ساندرس

— ولكنهم لا يعطونني هذه القيادة !

— اطلبوها أنتم

— عندما نعود الى الآستانة نفكر فى ذلك

وتعود البعثة الى الآستانة بعد أن تسبقها اشارة دبلوماسية بأن القيادة الألمانية العامة لم تكن مرتاحة الي وجود مصطفى كمال فى صحبة ولي العهد

ويرى أنور أنه أخفق فى سياسته ، إذ ازداد كره مصطفى كمال للالمان وحقده عليهم ، فيصمم على إقصائه عن مناصب الدولة ، وازاء ذلك يظل مصطفى كمال عاطلا عن العمل ، وتتوعك صحته فينصح له الأطباء بالسفر الى فينا ، فيسافر اليها ، ثم ينتقل الى كارلسباد ، وهناك يفاجأ بنبأ وفاة الخليفة وتنصيب وحيد الدين بعده

يا للأسف ! لقد فوت عليه مرضه فرصة الاتصال بالخليفة الجديد قبل أن يضمه أنور الى صفه

وبعد أيام تصله رسالة برقية من جواد عباس بك يدعوه فيها الى الحضور على وجه السرعة ، وتتلوها برقية أخرى تحضه على التعجيل بالسفر ، فيغادر كارلسباد فى ٢٧ يوليه سنة ١٩١٨ ، وفى فينا يصاب بالحمى الاسبانيولية فيضطر الى الاعتكاف حيناً وأخيراً يعود الى العاصمة ويطلب من عزت باشا سرياور الخليفة تحديد موعد للمقابلة

ويتقابل صديقا الأمس وقد وضع أحدهما على رأسه تاج السلطنة ، فيقدم وحيد الدين لمصطفى كمال لفافة من التبغ ويشعلها له بنفسه مبالغة فى اكرامه ، وعندما يعيد مصطفى كمال على مسامعه أفكاره وهواجسه ، ويطلب منه تقلد القيادة العامة للجيش

العامل ، يسأله السلطان عن آراء كبار الضباط فى ذلك ، ثم يختم المقابلة على لا شيء

وفى مقابلة ثانية يراوغه السلطان أيضاً

وفى مقابلة ثالثة يريد السلطان أن يقطع عليه خط الرجعة ، فيقول إن تزويد أهل استامبول بالغذاء أهم من أى شيء آخر ، وإنه لذلك يفضل البدء بهذا العمل الانسانى . فيرد عليه مصطفى كمال بأن سلامة البلاد قبل تموين العاصمة بالغذاء ، وان السلطان ان لم يعتمد على القوة فسلطنته اسمية . . وعندئذ يقول الخليفة وقد صمم على معارضته :

— لقد تذاكرت مع طلعت باشا وأنور باشا فيما يجب عمله

اذاً لقد انتصر أنور ، وانهارت آمال مصطفى كمال فى تسيير الخليفة وفق رغباته حتى يقاوم نفوذ الالمان ، ويجد لتركيا مخرجا من تورطتها معهم

وبعد أيام يطلب السلطان مقابلته بعد صلاة الجمعة ، فيدخل عليه فيجد معه قائدين المانيين ، ويهش الخليفة له ويبش ويقول :

— قد عيناك قائداً لسوريا فالحالة هناك تشتد خطورة يوما عن يوم ، مما يستدعى ذهابكم اليها ، وكل ما أطلبه منكم هو أن تحافظوا على تلك الجهات فلا تدعوا سبيلا لوقوعها فى يد الأعداء

. . . . . .

قائد لسوريا ! ؟ قائد لجيش منهزم ! ؟

مصطفى كمال يخرج من عند الخليفة ثائراً متأججاً ، فيعترض أنور سبيله وهو يبتسم ابتسامة الظفر ، فيقول له مصطفى كمال :

— مرحى ، أهنئك لقد انتصرت ! ومادام الأمر قد أصبح واقعاً فلنتكلم فى التدابير المعقولة : لقد علمت أن قواتنا المحاربة فى سوريا مظاهر اسمية لاغير ، وأن تعيينى فى تلك الجهة انتقام بديع . . ثم انكم خالفتم الأصول المرعية إذ جاءنى الأمر على لسان السلطان نفسه . .

ولا يتم حديثه بل يسير فى طريقه الى الشارع فيسمع اهانة يوجهها أحد القواد الالمان الى الجيش التركى ، فيلتفت اليه فى غضب ويقول : «إن الجيش التركى اذا كان قد فر من الميدان ، فلأن قائده الأعلى ـ الالمانى ـ سبقه إلى الفرار !!»

الجبهة المنحلة

مصطفى كمال موقن أن رحلته السورية هى آخر فصل من فصول المأساة الكبرى: مأساة الحرب العظمى

وهو متشائم إلى أقصى حدود التشاؤم ، فالخريطة الحربية التى قدمت له تدل على أن جبهة سوريا منحلة بدون قتال . والحالة فى العاصمة تنذر بالخاتمة الأليمة التى ترقبها حكومة الباب العالى

وبعد رحلة شاقة يصل إلى الخطوط التركية الممتدة بين شمالى يافا وسكة حديد الحجاز . فيعينه ليمان فون ساندرس قائداً للجيش السابع فى القلب

الجيش السابع — وسائر الجيوش التركية فى سوريا — فى حالة بؤس شديد : فعددها لايكاد يتجاوز عشر العدد المطلوب ، والمؤن والذخائر فى حكم العدم ، والصحراء تسفى الرمال على جنود أوهنهم الجوع والظمأ وفتكت بهم الحميات ، والحالة المعنوية مما لا يشرف الجيوش التركية التي صمدت للنكبات فى غير هذا الزمان والمكان . ولكننا نعود فنقول ان من الظلم أن ناومهم على هذا التخاذل فان ما تحملوه كان فوق طاقة البشر

فاذا سرنا بضعة أميال إلى الجنوب رأينا معسكرات الانجليز حيث العدد العديد والمؤن الوافرة والذخائر المكدسة والمواصلات السهلة ووسائل التسلية والعلاج

وعلى جانبى سكة حديد الحجاز نرى عصابات من العرب يقودها الجاسوس لورانس ويلحق بخطوط الترك ومواصلاتهم أبلغ الاضرار

الشواهد كلها تدل على هزيمة الترك . ومصطفى كمال يرى ذلك بعينيه فيبذل جهود الجبابرة لاصلاح ما أفسده الاهمال والفوضى

وفى ذات يوم يبلغه رأفت قائد الجيش الثامن على الساحل نبأ القبض على ضابط هندى فار من خطوط الانجليز ، وأن هذا الضابط يقول ان الانجليز سيهجمون على خطوط الترك من جهة الساحل فى ١٩ سبتمبر فيتناقش قواد الجبهة من الاتراك طويلا، ثم يستقر رأيهم على الاستعداد لهذا الهجوم ، ويطلعون قائدهم الأعلى ليمان فون ساندرس على قرارهم هذا فيسخر فون ساندرس منهم ويزعم أن الضابط الهندى ما هو إلا جاسوس أوفده الانجليز للضحك على ذقون الترك ، وأنه يرى أن الانجليز

سيهجمون على الاتراك بالقرب من سكة حديد الحجاز، وهو لذلك يأمر بتقوية تلك الجهة

بيد أن مصطفى كمال لا يوافقه على رأيه ، ويعمل على ألا يسحب من جيشه أحد للدفاع عن سكة حديد الحجاز ، ويأخذ فى الاستعداد لهجوم الانجليز

وفى فجر يوم ١٩ يهجم الانجليز على قلب الخطوط التركية وعلى ميسرتها من جهة الساحل ، فيصدق الضابط الهندى

فأما القلب ـ بقيادة مصطفى كمال ـ فيصمد للهجوم ، وأما جيش الساحل فيخترقه الانجليز ، ويتجهون شمالا ثم شرقا لقطع خط الرجعة على سائر القوات التركية

وهنا يدرك كمال حرج الموقف ، فيتراجع بقواته الى أقرب محطة اليه ، وينقل قواته إلى درعة فى الشمال

وناهيك بحملات الاعراب على فلول الترك بقيادة الجاسوس لورانس . . انهم ينسفون الجسور ويعطلون القطر ويقطعون السكك الحديدية ، انهم يسممون الآبار ، ولذلك يأمر مصطفى كمال بالتراجع إلى دمشق

وهناك يطلب فون ساندرس اليه أن ينظم خط دفاع عند رياق ، بيد أن الحالة المعنوية للجيش ، وثورة العرب ، وسرعة تقدم الانجليز لا تسمح بذلك ، ثم ان مصطفى كمال يرى أن حدود تركيا نفسها أصبحت فى خطر ، ومن الواجب ترك سوريا للانجليز والتراجع المنظم إلى الحدود التركية للدفاع عنها

ولكن فون ساندرس يتردد فى تنفيذ هذه الخطة ، ويقول انه ـ وهو الالمانى ـ لايستطيع أن يتحمل مسئولية التخلى عن جزء مهم من أملاك الامبراطورية العثمانية ، فيأخذ مصطفى كمال المسئولية على عاتقه ويصدر أمره بالتقهقر الى شمالى حلب

وهناك يشعر بأن الحالة أصبحت لا تطاق ، فالعرب ثائرون ، وكلما تقدم الانجليز خطوة ازدادوا ثورة وعصيانا ، ثم ان جماعة من العرب يهاجمون سيارته وهو عائد الى مقر القيادة فى فندق « بارون » بحلب ، وفى اليوم التالى يراهم متجمهرين حول الفندق وقد بلغ بهم التمرد درجة الغليان

اذاً لابد من مغادرة حلب أيضاً والاعتصام بالخطوط الدفاعية فى الشمال ، وهناك يلم مصطفى كمال شعث جنوده ويعيد تنظيمهم ، ثم يخطب فيهم حاثاً اياهم على الاستماتة فى الدفاع ، فهم الآن لايدافعون عن املاك الامبراطورية العثمانية وانما يدافعون عن الوطن نفسه ، الوطن الذى أصبح فى خطر . .

الجنود يتحمسون للقتال ويحسنون الدفاع عن مراكزهم عندما تهاجمهم القوات الهندية الزاحفة الى الشمال . ويقف الهجوم الانجليزى أياماً فى انتظار الامداد من الجيش الرئيسى فى الجنوب

وفى تلك الازمة العصبية تبرق الحكومة التركية الى مصطفى كمال بأنها عقدت الهدنة مع الحلفاء ووقعت على صلح مودروس ، وتبرق الحكومة الالمانية الى فون ساندرس بوجوب العودة الى المانيا هو وسائر ضباطه الألمان

الرجلان الكبيران : ليمان فون ساندرس ومصطفى كمال يتقابلان فى احدى قهوات آطنة ، فقد دنت ساعة الوداع

كلاهما رجل كبير وجندى حديدى الارادة

الصمت يسود بينهما بضع دقائق . ثم يقطع فون ساندرس على مصطفى كمال حبل تأملاته بقوله :

« لقد عرفتكم يا صاحب السعادة منذ قيادتكم فى أنا فرطه . وانى لفخور بأنى كنت أول من عرف لكفاءتكم قدرها . ولقد اختلفنا كثيراً . ولكنا رغم ذلك كنا صديقين حميمين . وانى اذ أعود الى وطنى الآن ـ أجد العزاء فى تركى القيادة لرجل حازم مثلكم »

مصطفى كمال يمد يده لصديقه ويصافحه بحرارة . ثم يفترق الرجلان

ويل للمغلوب !!

مصطفى كمال معسكر بجيشه فى آطنه ، فاذا دخلنا مكتبه رأيناه منحنياً على شروط معاهدة مودروس القاسية ، يقتلها بحثاً وقد قطب جبينه وظهر عليه التأثر الشديد

ثم يتناول ورقة ويكتب الى عزت باشا رئيس الوزارة برقية طويلة يسأله فيها عن مدى قوة المادة التى تنص على احتلال أنفاق طوروس ، وهل تشمل النفقين المعروفين بهذا الاسم ، وهل يقع الخط الحديدى الذى يمر بهما فى دائرة الاحتلال ، وهل تحتل أنفاق أمانوس ؟ كما يسأله عن عدد الجنود الذين سيحتلون الأنفاق ، وعن موقف الحلفاء من آطنة التى تعتبر جزءاً من تركيا نفسها ، وعمن سيأمر بتسريح الجيش التركى ، فيجيئه الرد بما لا يشفى غليلا وإن كان ينص على أن الاحتلال لا يشمل

أنفاق أمانوس نفسها ، وان عدد جنود الاحتلال سيقدره الحلفاء

فيعجب مصطفى كمال لهذا الرد الناقص وهذا الغموض الذى يحيط بالمعاهدة التى حكمت على تركيا بالفناء ، ويبرق الى عزت باشا قائلا :

« هل تسمح الحكومة بالاحتلال اذا كان عدد الجنود المحتلين كبيراً الى حد السيطرة على جميع الأناضول ؟ »

ويتساءل عن حدود آطنة ويخشى أن تضم الى سوريا ، ثم يطلع الحكومة على تصميم الحلفاء على احتلال اسكندرونة ويقول فى آخر رسالته :

« اننا اذا شرعنا فى تسريح جيوشنا والانقياد للانجليز فى كل شىء قبل الاستعداد لمواجهة سوء النية والغموض فى نصوص المعاهدة ، فاننا نكون قد مهدنا السبل لأطماع انجلترا »

فيجيئه الرد بوجوب التلطف مع الانجليز وعدم مقاومة احتلال اسكندرونة « لأنهم سوف لا يستفيدون منها الا كما يستفيد الضيف من مضيفه » فيرد عليه مصطفى كمال قائلا :

« ليس الانجليز على حق فى الاستفادة من اسكندرونة وتموين جيوشهم المعسكرة بجوار حلب منها ، فان فى حلب كميات جسيمة من الذخائر ، ثم ان المادة الحادية والعشرين من شروط الهدنة تشير الى إمكان تدارك الذخائر من أطراف كليس وعينتاب اذا اقتضى الامر تموين القوات الانجليزية المعسكرة فى حلب ، وانى أؤكد لحضرتكم أن الغرض من تلك المناورة الانجليزية لا يمكن أن يكون تموين الجيوش الانجليزية الموجودة فى حلب ، بل ان الانجليز يريدون احتلال اسكندرونة ثم التوجه بطريق اسكندرونة ـ قيريق خان ـ قاطمة ـ لقطع خط الرجعة على الجيش السابع الموجود فى خط ـ انطاكية ـ دير جمال ـ آختيرين ، فلا يجد هذا الجيش مناصاً عن التسليم ، وقد فعل الانجليز مثل ذلك مع الجيش السادس فى الموصل ، ومما يؤيد هذا الظن شروع الانجليز فى تقوية العصابات الأرمنية حول اصلاحية

« وانى أقول لكم بكل صراحة اننى لست الرجل الذى يقدر مجاملة المندوب الانجليزى فيدفعه هذا التقدير الى بذل ماء الوجه ـ أى التلطف المطلوب »

وعلى ذلك فهو يأسف لعدم استطاعته اجابة طلب عزت باشا ، ويقول انه أصدر أمره الى قواته بمقابلة الانجليز الذين سيخرجون الى اسكندرونة لأى سبب وبأية وسيلة ـ بالرصاص ! وإلى الجيش السابع بالتحرك الى الحدود الداخلية حتى يفوت

على الانجليز فرصة أسره ، ويختم برقيته بتقديم استقالته وطلب تعيين من يسمح له ضميره بارتكاب هذه الأغلاط الفاحشة

حتى اذا ما نجا الجيش السابع من الأسر ، يصر عزت باشا على وجوب تسليم اسكندرونة للانجليز ، فيرى مصطفى كمال ألا محيص عن التسليم فيلغي أمره السابق باطلاق الرصاص على الانجليز ، ويطلب من عزت باشا أن يأمر بتسريح الجيش السابع مع الابقاء على اسمه التاريخي « وحدة جيوش الصاعقة »

ثم يجلس الى مكتبه ويحرر الى عزت باشا برقية مطولة يقول فيها ان الهدنة التي عقدت مع انجلترا لا تشتمل على الضمانات التي تكفل سلامة البلاد ، وانه لذلك يلح في وجوب الاسراع بشرح مدلول كل مادة من المواد المبهمة، والا فان انجلترا ستطلب كثر مما طلبت وتطمع في آطنة وخط قونيا ـ أزمير . . ولا يبعد أن تطلب بعد ذلك احتلال البلاد كلها وتطالب بحق الاشراف على شئون البلاد الداخلية ـ شأنها في كل معاهدة مطاطة تمليها على شعب ضعيف

وبعد أيام تستقيل الوزارة ، ويبرق عزت باشا الى مصطفى كمال ملحاً في وجوب حضوره الى العاصمة . فيذهب اليها على جناح السرعة فيسمع أن الدول المحتلة أرادت أن تتدخل في سياسة الدولة ، وان السلطان أخذ على عزت باشا سماحه لأنور وطلعت بالهرب الى مياه البحر الأسود مع أنه كان يريد تسليمهما للانجليز ، فيستقيل عزت باشا ويؤلف الوزارة بعده صديق الانجليز وعدو أمته : توفيق باشا

يسمع مصطفى كمال بكل ذلك فيذهب الى عزت باشا ويحاول اقناعه بالعدول عن استقالته وتأليف وزارة جديدة يكون هو وزير حربيتها . ويهرع الى مجلس المبعوثان في قصر فندقلي حيث يقابل عدداً كبيراً من النواب ويقنعهم بوجوب الحملة على وزارة توفيق باشا والعمل على إسقاطها واعادة عزت باشا الى كرسي الرئاسة ، وانه لا خطر عليهم من ذلك فالمجلس لاشك سيحل ، ومن الوطنية ألا يعترف بوزارة خائنة كوزارة توفيق باشا

ويدق جرس الرئيس إيذاناً بافتتاح الجلسة ، فيبادر الأعضاء الى مقاعدهم ويطل عليهم مصطفى كمال من احدى الشرفات ، فلما تعرض عليهم الثقة بالوزارة يوافقون عليها بأغلبية الاصوات ! !

مصطفى كمال يلعن النواب ورجال السياسة كلهم . . ويهرع الى السرة فيطلب

مقابلة الخليفة ليبذل لديه المجهود الأخير . ولا يكاد يدخل عليه حتى يبادره هذا بقوله :

— انني واثق من أن قواد الجيش وضباطه يحبونكم . فهل تؤكد أنه لن ينالني منهم أذى ؟

فيجيبه مصطفى كمال فى دهشة :

— وهل وصلتكم يا مولاى معلومات عن الجيش تشعر بتدبير يقوم به ضدكم ؟

فيغمض وحيد الدين عينيه ويكرر سؤاله الأول . . فيقول مصطفى كمال انه وصل الى العاصمة من بضعة أيام ، وانه على كل حال لا يشك فى اخلاص الجيش لمولاه . . فيقاطعه الخليفة بقوله :

— أنا لا أتحدث عن اليوم وانما أتحدث عن اليوم وعن الغد

فيفهم مصطفى كمال سوء نيته وما يبيته للوطن من خيانة هائلة ، فيخرج من لدنه ساخطاً عليه ثائراً على السلطنة وعلى الخلافة

وبعد بضعة أيام يحل مجلس المبعوثان ويؤلف الوزارة الجديدة الداماد فريد

والآن ندعه يصور لكم استامبول المحتلة :

« وكنت وأنا فى بيتى فى « شيشلى » أرقب الحالة الجديدة عن كثب . وكانت الاستانة تعج بجنود الحلفاء . وكان البسفور يموج بمدرعاتهم التى صوبت أفواه مدافعها ذات اليمين وذات الشمال حتى غطت زرقته . وكان الناس لا يخرجون من منازلهم الا للضرورة القصوى ، فاذا خرجوا تسللوا بجوار الجدران خشية التعرض للاهانة . وكانت المناظر المفجعة لا تكاد تنقطع . . فقد لبست الآستانة العظيمة ثياب الذل والخنوع ، وخفتت أصوات مئات الألوف من سكانها فلا تسمع فيها الا أصوات الأعداء وقعقعة سلاحهم . . ومن عجب أن نرى أناساً يتصورون قيام السلطنة والحكومة والحياة فى هذا الوسط الذى كانت تطؤه الأقدام كما تطأ الخرقة القذرة ! »

تم الكتاب الاول